

صفات الزَّحَرَةِ الصَّالِحَةِ

للشيخ الدكتور

عبد الرزاق بن عبد المحسن العبد الجبر

حفظهما الله



شبكة الإمام الأجدري



www.ajurry.com



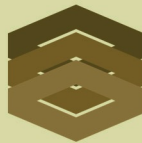


أعد هذه المادة

فريق شبكة الإمام الأجرى للتفريغ العلمي

ربيع الثاني ١٤٣١

الأجرى



منتديات
الإمام
الأجرى

www.ajury.com

موقع علمي متخصص في المتون العلمية وطلب العلم الشرعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.
أَمَّا بَعْدُ..

فَأَسْأَلُ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- لِي وَلَكُمْ جَمِيعًا التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ وَالْهُدَايَةَ وَالرَّشَادَ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَنْ يَعْلَمُنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعُنَا بِمَا عَلَّمْنَا، وَأَنْ يَزِيدَنَا عِلْمًا، إِنَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- سَمِيعُ الدُّعَاءِ، وَهُوَ أَهْلُ الرَّجَاءِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ.

ثُمَّ إِنَّ مَوْضُوعَ هَذِهِ الْمَحَاضِرَةِ عُنْوَانُهُ:

صِفَاتُ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ

وَأَحَبُّ أَنْ أُنَبِّهَ بَادِئَ ذِي بَدْءٍ أَنَّ الْخُطَابَ فِي هَذِهِ الْمَحَاضِرَةِ:
لَيْسَ مَخْتَصًّا بِالشَّابَّةِ الْمُقْبِلَةِ عَلَى الزَّوْجِ الرَّغْبَةِ فِي مَعْرِفَةِ

صفات الزوجة لتحلّى بها ولتهيئ نفسها لتحقيقها وتتميمها وتكملها.

وليس أيضًا مختصًا بالمرأة المتزوجة التي أحبّت لنفسها صفات الزوجة الصالحة لتحافظ عليها ولتحققها في حياتها.

وليس أيضًا مختصًا بالمرأة المقصورة لعلاج ما عندها من تقصير وتذكيرها بجوانب النقص لتتدارك أمرها وحياتها الزوجية الكريمة. بل إنّه خطابٌ وتذكرةٌ أعمّ من هذا.

فهو تذكرةٌ للأب الذي يُريد لبناته ومن تحت يده نشأةً طيبةً وحياةً كريمةً ودخولاً للحياة الزوجية على وفق مراد الله ومراد رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، كلماتٌ تكون عونًا له ليذكّر بناته ومن تحت يده بالضوابط الشرعية والصفات المرعية التي ينبغي على الفتاة أن تنشأ عليها.

وتذكرةٌ للأم وهي راعيةٌ في بيتها ومسؤولةٌ عن بناتها، وموجهةٌ لهنّ، وكثيرٌ من البنات ينشأن على أنواع من الأخلاق والصفات اكتسبناها من الأم.

وهو تذكرةٌ كذلك للدعاة للعناية بهذا الأمر، والاهتمام به، والسعي في نشر هذه الصفات الفاضلة والأخلاق الحميدة

والخلال المباركة، لتكون صفات للبنات والنساء في مجتمع الإيمان وفي ديار المؤمنين.

لا سيّما ونحن نعيش زمناً غُزيت فيه المرأة غزواً لم يحصل لها في أيّ فترة من فترات التاريخ السابقة، عبر مجالات عديدة، وقنوات كثيرة، ووسائل متعدّدة، تهدف للإطاحة بعقّة المرأة، وشرفها، وكمالها، وحليتها، وزينتها، وإيمانها، وأخلاقها، وفضيلتها.

ولقد كانت المرأة سابقاً لا يمكن أن تصل إليها الدّعوات المفسدة والأهواء المغرّضة والآراء المنحلّة إلّا من خلال قنوات ضيّقة، إمّا أن تكون لها رفيقة سوء أو نحو ذلك فتصل إليها بعض الخلال السيئة.

أمّا الآن في هذا الزمن فإنّ المرأة تصل إليها وهي في قعر دارها وفي بيتها قاذورات العالم كلّ، وأراذل العالم كلّ، وفساد العالم كلّ، وهي في حجرتها وفي دارها.

تجلس في حجرتها أمام الشاشة، أو من خلال شبكة الأنترنت، أو من خلال بعض المجلّات الهابطة، فيتسلّل إلى عقلها وفكرها وقلبها كلّ شر وكلّ فساد.

فهي تحتاج لتكون صالحة عفيفة دينة قانتة لله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أن تسدَّ على نفسها منافذ السوء، وطرائق الشر، ودواخل الفساد.

وهي مسؤولة كبيرة أيضًا على من ولاه الله أمرها، وأمرٌ يحتاج إلى اهتمام عظيم وعناية بالغة.

أقول: في مثل هذا الوقت ومع قلة التذكير - تذكير المرأة - بصفات الإيمان والصفات الفاضلة والنُّعوت الطَّيِّبة التي ينبغي أن تتحلَّى بها، في ظلِّ هذا وذاك ظهر في كثير من النساء ضَعْفٌ وَهْنٌ، ظهر قلة حياء ودين، ظهر أنواع من التَّقصير، وأنواع من الإخلال.. فهذه كلماتٌ عن صفات الزوجة الصالحة، أسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن يكتب فيها خيرًا ونفعًا، وأن يجعلها مفتاح خيرٍ مغلاق شرٍّ، وأن يجعل فيها هداية للقلوب، وصلاحًا للنفوس، وصِلَةً بربِّ العالمين، لتحقيق رضاه، ونيل محابَّه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، والبعد عما يُسخطه ويغضبه - جَلَّ وعلا - .

معاشر الإخوة الكرام..

وعندما نتحدث عن صفات الزوجة الصالحة وعن الصَّلاح، ينبغي ألا تغيب عنا قاعدة عظيمة في هذا الباب هي أُسُّ الموضوع

وأساسه لتحصيل الصَّلاح واكتسابه ونيله؛ ألا وهي: أن الصَّلاح لا يُنال إلا بأمرين:

الأول: توفيق الله -جلَّ وعلا- وهدايته وعودته وتيسيره وتسديده؛ فالهادي هو الله، والموفق هو الله، والأمور بيده -جلَّ وعلا- ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَحْدِلَهُ. وَإِنَّا مُرْشِدُونَ﴾^(١)، الهداية بيده، والصَّلاح بيده، والتَّوفيق بيده، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم.

والأمر الآخر: سعي الإنسان وبذله جهده ووسعته في نيل الصَّلاح وطلبه وسلوك أسبابه ووسائله.

وقد جمع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بين هذين الأمرين في قوله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في الحديث الصحيح: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله»^(٢).

«احرص على ما ينفعك» ببذل الأسباب النافعة والوسائل

(١) سورة الكهف، الآية (١٧).

(٢) رواه مسلم رحمه الله (كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، ح ٢٦٦٤).

المفيدة التي يُنال بها الصّلاح وتتحقّق من خلالها الهداية.
 «واستعن بالله» أي: كن معتمداً عليه، متوكّلاً عليه، طالباً عونَه،
 سائلاً له -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أن يوفّقك وأن يسدّدك وأن يثبتك وأن
 يكون عوناً لك على الصّلاح والاستقامة، فهذه قاعدة في الباب.
 وقاعدة أخرى لا بدّ من التّنبّه عليها؛ ألا وهي:

أنّ منبع الصّلاح وأصل معرفته وسبيل الدّراية به والهداية إليه هو
 كتاب الله وسنّة نبيّه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فكان واجباً ومتأكّداً
 على كلّ مذكّر بالصّلاح والإصلاح داعياً إليه أن يكون معوّلاً في
 ذلك كلّهُ على كتاب الله -عزّ وجلّ- وسنة رسوله الكريم -عليه
 الصّلاة والسّلام-.

أمّا القرآن فيقول الله -تعالى-: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي
 هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١).

وأما السنّة وهدى النّبي الكريم -عليه الصّلاة والسّلام- فيقول:
 «تركتم فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي»^(٢).

(١) سورة الإسراء، الآية (٩).

(٢) رواه مالك رحمه الله في الموطأ (كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر،

فموضوعنا - معاشر الإخوة الكرام - هو:
 صفات الزوجة الصالحة على ضوء كتاب الله وسنة رسول الله
 - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .
 وعليه فإن كل صفة ستأتي معنا في هذه الكلمة ستأتي مقرونة
 بدليلها، مضمومة إلى مستندها من كتاب الله أو من سنة رسول الله
 - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .
 وأول ما أبدأ به ما جاء في سورة النساء في ذكر صفات الزوجة
 الصالحة:

قال الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ

ح (١٦٦) بلاغا؛ وهو مُعْضَلٌ لَكُنْ له شواهد صححه بها جمعٌ من أهل العلم حتى قال
 ابنُ عبد البر رحمه الله في (التمهيد ١٤ / ٣٨٤ ط الفاروق الحديثة) : (هذا محفوظٌ
 معروفٌ مشهورٌ عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - عند أهل العلم شهرةً يكادُ
 يستغني بها عن الإسناد) اهـ ، ثم أسنده عن أبي هريرة وعمر بن عف - رضي الله
 عنهما - بنحوه ، وروى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أيضًا الحاكم (كتاب العلم ،
 ح ٣١٩) وغيره ، ومن شواهد ما رواه الحاكم رحمه الله (ح ٣١٨) وغيره من حديث ابن
 عباس رضي الله عنهما وانظر كلام الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة (ح ١٧٦) .

لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴿١٠﴾، وسبحان الله هذا الجزء من الآية أتى على مجامع الأمور في هذا الباب، واستوعب بدلالته وجمعه كل صفة فاضلة ونعت كريم للمرأة الصالحة.

رب العالمين يقول: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَتٌ حَفِظَتْ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ بهذا وصف الله عز وجل الصالحة، ما صفتها؟ ما حليتها؟ ما نعتها؟ قال رب العالمين: ﴿قَنِينَتٌ حَفِظَتْ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾.

فدلنا هذا النص الكريم المبارك على أن الزوجة الصالحة هي من جمعت بين صفتين:

الصفة الأولى: تتعلق بصلتها بربها.

والصفة الثانية: تتعلق بصلتها ببعليها -زوجها-.

- أما صلتها بربها، ففي قوله -سبحانه- ﴿قَنِينَتٌ﴾، والقنوت هو المداومة على طاعة الله، والمحافظة على عبادة الله، والالتزام بطاعة الله، والعناية بفرائض الإسلام وواجبات الدين، كل ذلك داخل تحت قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿قَنِينَتٌ﴾، فالقنوت هو

المدائمة على الطاعة والملازمة للعبادة وعدم الإهمال لها وعدم إضاعتها.

- الجانب الآخر في قوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ أي: حافظة لحق زوجها وبعلمها في الغيب، وكذلك في الشهادة، تحفظه في ماله، تحفظه في فراشه، تحفظه في حقوقه، تحفظه في واجباته، ﴿حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ﴾.

ثم إن هذا الذي وقع منها من حفظ هو بتوفيق الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وتيسيره وعونه وتسديده؛ ولهذا قال: ﴿حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ أي: أن الأمر ليس بجدارتها ولا بحذقها ولا بفطانتها ولا بكياستها وإنما هو بتوفيق الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وتسديده لها وتيسيره لها.

وهذا يذكرنا بما أشرتُ إليه قبل قليل أن الصَّلاح والسداد كله بتوفيق الله وتيسيره وعونه وتسهيله.

يدخل في قوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿قَنِئْتُ﴾ حفظ المرأة لفرائض الإسلام وواجبات الدين.

وقد جاء في هذا المعنى أحاديث عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ-، منها: ما رواه ابن حبان في صحيحه ^(١) من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ».

وروى الإمام أحمد في مسنده ^(٢) من حديث عبد الرحمن ابن عوف -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ».

هنا نقول: هنيئًا للمرأة المسلمة هذا الموعود الكريم والفضل العميم والخير الذي وعدّها الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- به، أعمالٌ أربعةٌ تعدّها المرأة على أصابع اليد الواحدة، وليس على أصابع اليدين، أعمالٌ أربعةٌ إذا حافظت عليها يقال لها يوم القيامة: «ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِهَا شِئْتَ».

(١) كتاب النكاح، باب مُعَاشَرَةِ الزَّوْجَيْنِ (ح ٤١٥١ مع التعليلات الحسان) وحسنه لغيره الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) برقم (١٦٦١).

أليس حقيقاً بالمرأة الناصحة لنفسها أن تُعني بهذه الأوصاف، وأن تهتم بهذه الخلال وأن تواظب على أداء هذه الأوصاف؟ : حفظها لصلاتها، حفظها لصيامها، حفظها لفرجها، حفظها لحقوق زوجها، ثم يأتيها هذا الوعد المبارك والخير العميم يقال لها يوم القيامة: «ادخلي الجنة من أي أبوابها شئت».

إن أساس الصّلاح في المرأة صلاحها مع ربّها، بحسن طاعته، وحسن التقرب إليه، والمواظبة على عبادته، فإنّ هذا الصّلاح وتلك الاستقامة هي سرّ سعادتها، وسرّ فلاحها، وسرّ توفيقها في حياتها كلها بما في ذلك حياتها الزوجية، وصلاح أولادها، وذريتها، وعيشها العيش المبارك الهنيء.

ولهذا كان متأكّداً على من أرادت لنفسها الخير ومتأكّداً على أولياء الأمور الذين يحبون لبناتهم الخير أن ينشئوهنّ على الصّلاح والاستقامة والمحافظة على العبادة، ولا سيما العناية بفرائض الإسلام ولا سيما الصّلوات الخمس، وصيام شهر رمضان، والبعد عن كلّ ما يؤثّر بعفّة المرأة وشرفها، وهو ما جاء بيانه في هذا الحديث بقوله: «وحفظت فرجها».

وحفظ المرأة لفرجها أمرٌ يتطلّب منها ومن وليّ أمرها سدّ

المنافذ والوسائل التي يكون بها الفساد، ويحصل من خلالها الشر، وتنداعى من جهتها الآثام والعياذ بالله.

فهذا مطلب عظيم ينبغي على من أرادت لنفسها الخير أن تنشئ نفسها عليه؛ تحافظ على طاعة الله، وعبادة الله، والتقرب إليه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بما يرضيه من سديد الأقوال وصالح الأعمال، ثم إذا من الله عليها بالكفر الكريم والزوج المناسب عليها أن تتقي الله فيه من أول الزواج وفي بدايته.

وهذا يستوجب أن ينبّه على مسألة أصبح الخطأ فيها شائعاً، والخلل فيها متكاثراً، ألا وهي: الإسراف والبذخ الذي يكون في ليلة الزواج وفي نفقة الزواج، وهذا أمرٌ خطره بالغ وضرره عظيم. وكثير من النساء إذا أقبلت على الزواج اتجه اهتمامها للشكليات واتجه اهتمامها لمشاكله بنات جنسها ونظيراتها، فلانة من الناس فعلت، وفي الزواج الفلاني فعلوا كذا، تتجه بنظرها إلى تلك النظرة فيأتي الإسراف، ويقع البذخ، ويكثر التبذير وإضاعة الأموال، إضافة إلى ما قد يقع أيضاً من منكرات ومحرمات، فتكون هذه البداية والتقدمة بين يدي الزواج سبباً لقصور البركة، وقلة الخير.

بخلاف ما إذا ابتعدت المرأة عن ذلك وابتعد أهلها عن ذلك، وجانبوا الإسراف، وجانبوا المعاصي والآثام، وكانت النفقة نفقة لا كلفة فيها ولا إسراف ولا تبذير، فهنا تتحقق الخيرية، وتحل البركة.

ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو في سنن أبي داود ^(١) من حديث عقبة بن عامر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: «خير النِّكاح أيسره»، وفي حديث آخر: «أعظمهنَّ بركة أقلهنَّ مؤونة» ^(٢)، فخير النساء أيسرهن.

ولهذا ينبغي على المرأة وعلى الأب وعلى الأم أن يكون نصب أعينهم في النِّكاح وفي مراسيم الزواج التيسير لا التعسير، التواضع لا التَّعالي والتَّرفع، الرِّفق والأناة وعدم الإسراف وعدم البذخ، لا أن يكون همُّ الأب أو الأم أو الزَّوجة هذه الأوصاف

- (١) كتاب النِّكاح، باب: فيمن تزوج ولم يُسمَّ صداقاً حتَّى ماتَ (ح ٢١١٧)، وهو عند ابنِ جَبَّانَ رحمه الله (ح ٤٠٦٠) وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله في الصَّحيحة (ح ١٨٤٢).
- (٢) أخرجه ابنُ أبي شَيْبَةَ رحمه الله في مُصَنَّفِهِ (ح ١٦٥٢٥) وأحمد رحمه الله في مُسْنَدِهِ (ح ٢٤٥٢٩ و ٢٥١١٩) وغيرُهما، وَضَعَفَهُ الألبانيُّ رحمه الله في الإرواء (ح ١٩٢٨).

الذميمة، إسراف وبذخ وإضاعة للأموال فهذا أمرٌ له تأثيره في الحياة الزوجية كلها سلباً وإيجاباً.

فإذا كان هناك يسرٌ وتيسيرٌ وبعُدٌ عن الإسراف كان ذلك من دواعي حلول البركة ونزول الخير.

وإذا بُدئ بالإسراف والتبذير والمعاصي وأنواع الآثام فهذا من أعظم أسباب انتزاع البركة والعياذُ بالله.

ثم من صفات الزوجة الصالحة: الحذر من الشيطان الرجيم -أعاذنا الله وإياكم منه-، والشيطان مهمته في هذه الحياة الإفساد: إفساد الدين، إفساد الخلق، إفساد المعاملة، إفساد العشرة، إفساد الأخوة؛ مهمته الإفساد، وفي كل يوم يبعث بعوثاً ويرسل جنداً للقيام بهذه المهام.

وتأملوا معي هذا الحديث وهو في صحيح مسلم^(١) من حديث جابر بن عبد الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ» أَي: يُرْسِلُ الْجُنُودَ وَالْبَعُوثَ لِلْإِفْسَادِ، «فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةُ أَعْظَمِهِمْ

(١) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان (ح ٢٨١٣).

فتنة» يعني: أقربهم إليه أعظمهم فتنة بين الناس، «يجيء أحدهم» يعني: أحد هؤلاء الجنود «فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعتَ شيئاً، ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقتُ بينه وبين امرأته، فيدنيه منه» إبليس يُدني هذا منه «ويقول: نعم أنت»، قال الأعمش: أراه قال: «فيلتزمه» أي: يحتضنه ويقربه منه ويدنيه إذا فرّق بين المرأة وزوجها.

هنا تحتاج الزوجة الصالحة أن تتفقه في هذا الباب، وأن تعي هذه الحقيقة وكذلك زوجها، أن يعي كل واحد منهما أن ثمة عدواً خفياً يراك ولا تراه ويجري منك مجرى الدّم من العروق؛ ينفث، يوسوس، يكيد، يمكر.. كل ذلك يمارسه وأنت لا تراه، يلقي في قلبك، يلقي في قلبها، يطرح الوسوس، يُوقع الشُّكوك، إلى أن تقع العداوات، وله منافذ.

ولهذا جاءت السنة بالتحصين منه عند دخول البيت، عند المعاشرة، عند الطّعام، عند الغضب، في كلّ أمر من الأمور يحتاج الإنسان إلى التحصين من الشيطان؛ لئلا يشاركه الشيطان في أهله وبيته وولده، فيحتاج أن يحصّن نفسه بالأذكار المباركة، بالقرآن الكريم، بالدّعوات المأثورة، بالمحافظة على طاعة الله -سُبْحَانَهُ-

وَتَعَالَى - وعبادته.

إذاً من صفات الزوجة الصالحة الحذر من كيد الشيطان ونزغ الشيطان ووساوس الشيطان وما يلقيه الشيطان في النفوس مما يترتب على الإصغاء له وسماعه فساد العشرة وتهدم بيت الزوجية. وكم من الأسر والبيوت حصل الفراق الذي لم يكن بعده رجعة بطاعة الشيطان واتباع وساوس الشيطان، ولو أن كل واحدٍ منهما تعوَّذ بالله من الشيطان الرجيم وابتعد عن نزغاته ووساوسه لَمَا وقعت تلك الأمور ولم يحصل ذلك التفرُّق.

كم من البيوت حصل فيها تفرُّق بسبب طاعة الشيطان، ثم يذهب هذا المفسد من الشياطين إلى إبليس لتدنو منزلته منه وتقرَّب مكانته عنده بما أحدثه من فُرقة بين الزوجين.

وهنا ينبغي أن نلاحظ ملاحظة مفيدة: أن هذا العدو الخفي الذي يراك ولا تراه صاحب خبرة واسعة وصاحب تجارب عديدة. الآن عندما يريدون أن يتحدثوا عن بعض المؤسسات وعن بعض الخبرات كم من السنوات يعدُّون في باب الخبرة؟ إن كان العدد كبيراً قال: خمسون سنة أو ستون سنة أو سبعون سنة إن زاد العدد؛ لكن خبرة إبليس في الإغواء والصدِّ وحرف الناس وإيقاع

العداوات؟ خبرة آلاف السنوات، كم من الناس دخلوا الحفر ودُفِنوا وكانوا من آثار دعوة الشَّيْطان الرَّجِيم، من آثار إفساد الشَّيْطان الرَّجِيم، من آثار إغواء الشَّيْطان الرَّجِيم؛ ولهذا يحتاج البيتُ المسلمُ إلى أن يحصِّن نفسه، وأن يصونها، وأن يُعدها من الشَّيْطان الرَّجِيم .

ثم من صفات المرأة الصالحة فيما يتعلق بحقوق الزوج وواجباتها نحوه وما ينبغي أن تكون عليه تجاهه أمورٌ عديدة جاءت في السنة، وأشير إلى بعضها:

من ذلكم: أنَّ المرأة الصَّالحة صفتها كما ذكر رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تجاه زوجها أنها تدخل عليه السُّرور إذا نظر إليها، دائماً تكون حريصة على هذا، أن تدخل عليه السُّرور إذا نظر إليها، في هيئتها، في منظرها، في شكلها، في لباسها، تحب أن تدخل عليه السرور إذا نظر إليها، هذا جانب.

والجانب الآخر تكون معوَّدةً لنفسها على طاعته والاستجابة لأوامره بدون استنكاف وبدون استكبار وبدون تعالٍ، واسمعوا إلى ذلك في حديث النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو في سنن

النَّسَائِيَّ^(١) من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قيل له: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ». فهذه صفتها من حيث المنظر والهيئة والشكل، تعتني عنايةً فائقةً بهيئتها ومنظرها أمامه وكلما حضر، وأيضا أوامرهُ ورغباته وحاجاته تكون محلّ الاهتمام والعناية.

كثيرٌ من النساء -وهذا من الأمور المؤسفة- لا تعرف الزينة والتجمل إلا إذا أرادت أن تخرج من البيت وتغادر البيت لمناسبةٍ ما أو اجتماعٍ ما أو نحو ذلك تعتني بالزينة، أمّا فيما يتعلق بحق الزوج إذا دخل فتلقيه بثياب رثّة، تلتقه برائحةٍ ليست جميلة، تلتقه بشعرٍ شعثٍ، تلتقه بصفاتٍ تصدّه عنها وتقطع من رغبته فيها، ثم يفاجأ أنها في كلّ مرة تريد أن تخرج من البيت تخرج بزينةٍ لا يحظى ولا بعشرها؛ فأَيُّ رغبةٍ تملأ قلب هذا الزوج تجاه من هذه صفتها؟! وأَيُّ حبٍّ يكتنف جوانحه إذا كان هذا شأنها معه؟،

(١) كتاب النِّكَاحِ، باب أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ (ح ٣٢٣١) وصَحَّحه الشَّيْخُ الألباني رحمه الله في الصَّحِيحة (ح ١٨٣٨).

وهذا من دلائل حُمو المرأة وقلة عقلها في تحقيق كمال الحياة الزوجية وتحقيق سموها ورفعيتها.

إضافة إلى ما تكون عليه كثير من النساء من عدم الطوعية والاستجابة وكثرة التبرُّم والتسخط والتشكي بما تواجه به الزوج وبما تواجه به غيره؛ فتجلب لبيتها حياةً تعيسةً، وحياةً نكديةً، وحياةً متفككةً، وتكون هي الجانية على نفسها.

يقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في صحيح مسلم^(١) من حديث جابر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «إِذَا قَدِمَ أَحَدُكُمْ لَيْلًا فَلَا يَأْتِيَنَّ أَهْلَهُ طُرُوقًا» يعني لا يفاجئهم في الليل؛ لماذا؟ قال: «حَتَّى تَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ وَتَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ» وهذا فيه لفظة للمرأة -والحديث لها وعنهما- قوله: «حَتَّى تَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ وَتَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ» يعني: شعثة الشعر، وهذا فيه لفظة كريمة للمرأة أنها هكذا ينبغي أن تلقى زوجها بكمال نظافتها وحسن هيئتها وجمال استعدادها ولا سيما إذا كان قدم من غيبة وجاء عن سفر، فهذا أمر يتطلب منها استعداد وتهيؤ حتى في ترتيب البيت وتهيئته، كما جاء عن أم المؤمنين عائشة

(١) كتاب الإمارة، باب كراهة الطروق - وهو الدخول ليلاً - لمن ورد من سفر (ح ٧١٥).

- رضي الله عنها - قالت: (قَدِمَ رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من سفرٍ فوضعتُ قراما لي) ستار (في جانب من البيت وكان فيه تصاوير) ؛ لماذا وضعت هذا القرام؟ لأنها أرادت إذا دخل -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- إلى البيت يجد فيه شيئا من التحسين أو التهيئة في البيت نفسه وفي المرأة نفسها، فلمَّا رأى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- القرام وعليه تصاوير اشتد غضبه وقطعه^(١).

فنحن نستفيد من هذا الحديث فائدة أنَّ المرأة ينبغي أن تهَيِّئ البيت وأن ترتِّبه وأن تُحسِّن إعداده وتهيئته، وإعدادها لنفسها الإعداد التام الكامل، تحسن استقباله، فهذه كلها من الصفات التي جاءت في سنة النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - للمرأة والزوجة الصالحة.

أيضًا من ذلكم ما جاء في معجم الطبراني الأوسط^(٢) من حديث

(١) أخرجه البخاري رحمه الله (كتاب اللباس ، باب ما وطئ من النَّصَاوِير، ح ٥٩٥٤)، ومسلم رحمه الله (كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، ح ٢١٠٧) .
 (٢) برقم ١٧٤٣ ط : دار الحرمين) ، وصَحَّحه الشَّيْخُ الألباني رحمه الله في الصَّحِيحَة (ح ٣٣٨٠) ، وانظر أيضًا الصَّحِيحَة (ح ٢٨٧) .

أنس بن مالك - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟» ولاحظ هذا الأسلوب في التشويق والإثارة للقلوب والأسماع، «ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟» يعني: الزوجة التي بصفاتها الحميدة وخلالها المباركة صارت أهلاً ومهيأة لأن تكون من أهل الجنة، قال: «كل ودودٍ ولودٍ، إذا غضبت أو أُسيء إليها أو غضب زوجها» لاحظ هذه الأمور الثلاثة؛ ماذا تصنع؟ «قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى» يعني: لا أغمض عيني ولا أهنأ بنوم ولا تقر لي عين حتى ترضى عني، هذه يقول - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «خير نسائكم»

من النساء من لا تبالي، ينام الليلة والثلثين والثلاث والعشر والشهر وهو مغضب، ولا كأن الأمر يعينها!، ولا كأنها ستلقى الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ويحاسبها على هذه الأمور وعلى هذه الأعمال. ولهذا نبه هنا أن المرأة عندما تقوم بهذه الأعمال تجاه زوجها هي تطيع في الحقيقة من؟ تطيع رب العالمين، الذي خلقها أمرها بهذا، فعليها أن تقوم بهذه الحقوق وأن تؤدي هذه الواجبات وأن تسأل الله - سبحانه وتعالى - أن ييسر لها حياة كريمة وعشرة

مباركة.

أيضاً من صفات المرأة الصالحة :

ما جاء في سنن البيهقي ^(١) عن أبي أُذَيْنَةَ الصَّدْفِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَدُودُ الْوُدُودُ الْمُؤَايِسَةُ الْمُؤَايِسَةُ، إِذَا اتَّقَيْنَ اللَّهَ، وَشَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتُ الْمُتَخِيلَاتُ وَهُنَّ الْمُتَنَافِقَاتُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلَّا مِثْلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ».

انظروا إلى هذه الصفات للزوجة الصالحة:

- «الودود» وهذه صفة كريمة وخلة حميدة في المرأة الصالحة والزوجة المباركة، «الودود» أي: المتصفة بالود والتودد، وحسن التودد، وأحق الناس بذلك الزوج -البعـل-، أن تحسن التودد إليه وأن تكسب مشاعره وعاطفته بكلماتها اللطيفة وألفاظها العذبة، حسن توددها له في معاملتها له، في مظهرها، في هيئتها. فالتودد يكون بالكلام، ويكون بالهيئة، ويكون بالمظهر، ويكون بالعمل، ويكون بالخلق.

(١) أبواب التَّغْيِبِ فِي النِّكَاحِ ، باب اسْتِحْبَابِ التَّزْوِجِ بِالْوَدُودِ الْوُدُودِ (ح ١٣٧٦٣) ، وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الصَّحِيحَةِ (ح ١٨٤٩) .

- «الْوَلُودُ» أي: المنجبة، كثيرة الإنجاب، فهذه صفة حميدة في المرأة، وهي من خير النساء، وإذا كانت المرأة مبتلاة بعلّة أو مرض فهذا أمرٌ لا يضرُّها لأنّه ليس أمرًا قصّرت فيه أو سعت هي في الإخلال به؛ فلا يحاسبها الله على ذلك ولا يضرُّها ذلك ولا يتنافى ذلك مع صلاحها.

أمّا إن كانت هي ولودًا ولكنها تمنع الأولاد وتقطع الإنجاب وتسعى في قطع الإنجاب فهذا فيه ضررٌ عليها، وقد قال -عليه الصّلاة والسّلام-: «تزوّجوا الودود الولود؛ فإني مكاثّر بكم الأمم يوم القيامة»^(١)، فالذي ينبغي على المرأة أن تسعى في وجود الأولاد، تبذل السّبب في ذلك، في تربية الأولاد، وتنشئة الأولاد، ورعاية الأولاد، وتحسب أيضًا أن يوجد في المجتمع أبناء صالحون ودعاة مصلحون تنشئهم، تحسب ذلك من أوّل دخولها في الزّواج، تقول بينها وبين الله: لعل الله يكرمني بأبناء من أئمة الهدى، من علماء المسلمين، من دعاة الخير، فيُكتب لها الأجر

(١) أخرجه أحمد رحمه الله (ح ١٢٦١٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصحّحه الشيخ الألباني رحمه الله في الإرواء (ح ١٧٨٤).

العظيم على هذه العناية والرعاية.

- قال: «المُؤَاتِيَةُ» أي: التي ليست فظة ولا غليظة، بل هي مواتية تسمع وتطيع وتُسْتَجِيب ولا تستنكف ولا تستكبر ولا تستعلي على الزوج ولا يكون منها نشوز أو تعالٍ.

- «المُؤَاسِيَةُ» أي: التي تواسي زوجها وتقف إلى جنبه، وتكون عوناً له على الخير وعلى طاعة الله، وعلى ما فيه السعادة والصلاح.

- «إِذَا اتَّقَيْنَ اللَّهَ» أي: أن هذه الصفات إنما تكون نافعة للمرأة إذا اتقت الله - جل وعلا -، فلو كانت ودوداً ولوداً مواتية مواسية وهي تطلب بذلك أمر الدنيا ليست متقية لله لم تُفدّها هذه الصفات ولم تنفعها، وإنما تكون هذه الصفات نافعة لها إذا كانت تقوم بها طلباً لرضى الله - جلّ وعلا - وسعيًا في تحقيق تقواه .

قال: «وَشَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتُ» أي: التي تتبرج بزینتها، وتخرج بحليتها، تخرج متأنقة متجملة متعطرة متحلية متزينة لتكون شرفاً للشيطان وغرضاً له في إفساد المجتمع.

المرأة التي تخرج بهذه الصفة خرجت لتكون أحد جنود إبليس في إفساد المجتمع، إي والله؛ خرجت من بيتها والذي أخرجها إبليس، والذي دعاها إلى هذا الخروج الشيطان، تزين، تتجمل،

تتعطّر، تتحلّى ثم تخرج في الأسواق لتكون هدفاً للشيطان في إيقاع الفتنة وإثارة الفاحشة في الذين آمنوا.

فالمتبرجة هي بهذا التبرج أصبحت من جنود إبليس ومن أعوان الشيطان في إفساد المجتمعات.

قال: «الْمُتَخَيَّلَاتُ» وهذا من الخيلاء، وهو الكبر، و-سبحان الله- هنالك تلازم بين التبرج والخيلاء، إذا تبرجت وتزيّنت وتعطّرت وتجمّلت بأيّ صفة تخرج في الشارع وفي السوق؟ هل تخرج بصفة متطامنة متواضعة لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؟! أم أنها تخرج مختالة متعالية مترفعة فيها الكبر وفيها العجب بنفسها وبهيئتها ومنظرها؟! فهناك تلازم بين الخيلاء والتبرج، كما أنه ثمة تلازم بين الحشمة والحياء.

المرأة المحتشمة الحياء فيها مُفْعَم، وقلبها ممتلئ به، بينما المرأة المتبرجة طرحت جلباب الحياء ولبست بدله جلباب الكبر والعجب والغرور، مما يجني عليها في حياتها، ومما يكون به مضرة عليها في حياتها الزوجية وفي حياتها كلها.

ولهذا وصف من كانت كذلك بأنها شرُّ النساء قال: «وَشَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتُ الْمُتَخَيَّلَاتُ وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ

مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ»، «الْغُرَابُ الْأَعْصَمُ» أي: الذي في جناحيه شيءٌ من البياض، وفي قدميه شيءٌ من البياض، ومتى تشاهد الغراب الأعصم بين الغربان السُّحْمِ السود؟ من أندر النادر أن تجد الغراب الأعصم، الغالب ترى الغربان كلها سوادا متكاملا في كلِّ أجزائها، فيقول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ» وهذا كناية عن قلة من يدخل الجنة من هؤلاء النساء، لأن هذا الوصف في الغربان قليل.

مثل هذا الحديث يقول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «إني رأيت النار، ورأيتكن أكثر أهل النار»^(١)؛ لماذا رأى النساء أكثر أهل النار؟ عندما ننظر في الصفات التي جاء في السنة عدُّها في صفات الأشرار أهل النار، نجد كثيرا من النساء ما تبالي ولا تهتم ولا كأنها ستلقى الله يوم القيامة ويحاسبها على ذلك، وكثير منهن لا يقال: إنها ما سمعت الحديث ولا بلغها الدليل، لا، عرفت ولكنّها همُّها شهوتها، همُّها رغباتها.

(١) كما عند البخاري (ح ١٠٥٢ وح ١٤٦٢) عن ابن عباس وأبي سعيد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-

عَنْهُمْ -، ومُسْلِمٍ رحمه الله (ح ٧٩ وح ٩٠٧) عن ابن عمر وابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-.

أحاديث كثيرة جاءت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- في ذكر أوصاف مذمومة للمرأة إذا اتصفت بها؛ كقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «لعن الله النامصة والمتنمصة»، «لعن الله الواشمة والمستوشمة»^(١)، «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال»^(٢)، ولعن النبي -صلى الله عليه وسلم- «المترجلات من النساء»^(٣)، أحاديث كثيرة فيها لعن للنساء في أوصاف معينة، تجد في كثير من النساء تسمع اللعن والطرود والإبعاد من رحمة الله ولا تبالي؛ ولا كأنها ستقف أمام الله -سبحانه وتعالى- ويسألها، ولا كأنها يوماً من الأيام ستدرج في حفرة ويوارى عليها التراب وتقدم على ربها بأعمالها، كل هذا يغيب عنها ويغيب عن ذهنها، ولا يكون همها إلا أن تتجمل وتزين ولو كانت الأعمال التي تمارسها معصية لله

(١) أخرجه البخاري رحمه الله (ح ٥٩٤٧ و ٥٩٤٨) ومسلم رحمه الله (ح ٢١٢٤ و ٢١٢٥).

(٢) أخرجه البخاري رحمه الله (كتاب اللباس، باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال، ح ٥٨٨٥) من حديث ابن عباس -رضي الله عنه-.

(٣) أخرجه البخاري (ح ٥٨٨٦) من حديث ابن عباس -رضي الله عنه-.

ومخالفة لأمر الله، ومن موجبات غضب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وسخطه.

إذاً هناك أوصاف ومَذاًم جاء بيانها في السنة للنساء لتكون المرأة الصالحة منها على حذر.

هذا يدعوننا أن نقول: إن من صفات المرأة الصالحة:

معرفتها بما جاء في السنة من مَذاًم للمرأة السيئة حتى تجتنب تلك الخصال، وتكون معرفتها بهذه الأشياء هي معرفة يُقصد منها الحذر والاجتناب على حد قول من قال:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ لَكِنْ لِتَوْقِيهِ

وَمَنْ لَا يَعْرِفِ الشَّرَّ مِنَ النَّاسِ يَقَعُ فِيهِ

كذلك من صفات المرأة الصالحة والزوجة الكريمة:

عدم التَّقصير في حقوق الزوج، وبذل الوسع والجهد في خدمته؛ وتأملوا في هذا ما رواه النسائي في السنن الكبرى^(١) عن حصين بن محصن عن عمّة له يقال لها: أسماء أنها دخلت على رسول الله

(١) كتاب عشرة النساء، باب طاعة المرأة زوجها (ح ٨٩١٣)، وأحمد رحمه الله

(ح ١٩٠٠٣) وصححه الألباني رحمه الله في صحيح التَّرمِيزِ والترَّهيب (ح ١٩٣٣).

- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لبعض الحاجة فقضى حاجتها فقال لها الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «أذاتُ زوج أنتِ؟» قالت: نعم، قال: «كيف أنتِ له؟» يعني: ما شأنك معه؟ ما مدى قيامك بحقوقه وواجباتك؟ قالت - ونعم ما قالت - : ما آله إلا ما عجزت عنه. تقول: ما أقصّر معه إلا شيء أعجز عنه، قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «انظري أين أنتِ منه ؛ فإنه جنتك ونارك»، لا إله إلا الله.

متى يكون الزوج لزوجته جنةً ومتى يكون ناراً؟ هنا يجب على المرأة أن تعي هذه الحقيقة، أن تعي هذا الأمر الكبير، «أين أنتِ منه؟» ، عليك واجبات وأنت عبدة لله، وثمة جنة ونار، والله - عز وجل - أمرك وأوجب عليك هذه الحقوق تجاه الزوج، قومي بها، أدّيهما على التمام والكمال، أدّي الذي عليك واسألي الله الذي لك «فإنه جنتك ونارك».

من صفات الزوجة الصالحة:

عدم إرهاق الزوج بالتفقة وألا تكون أداة في البيت للبذخ والإسراف وإضاعة مال الزوج بل تعتدل؛ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ

يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْرَأُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴿١﴾.

وتأملوا في هذا ما جاء عن أبي سعيد أو جابر ^(٢) أن نبي الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خطب خطبة فأطالها، وذكر فيها أمر الدنيا والآخرة، فذكر أن «أول ما هلك بنو إسرائيل أن امرأة الفقير كانت تكلفه من الثياب أو الصيغ - أو قال: من الصيغة - ما تكلف امرأة الغني»: أول ما كان هلاك بني إسرائيل أن امرأة الفقير كانت تكلف زوجها من الصيغة والحلي والزينة مثل ما تكلف امرأة الغني زوجها.

فذكر رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «امرأة من بني إسرائيل كانت قصيرة» قوامها قصير «واتخذت رجلين من خشب؛ حتى تكون طويلة» وخاتمًا له غلق وطبق وحشته مسكًا «كل هذا من الإسراف»، «وخرجت بين امرأتين طويلتين أو

(١) سورة الفرقان، الآية (٦٧).

(٢) أخرجه ابن خزيمة - رحمه الله - في التوحيد (ح ٤٨٧) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة (٥٩١)، وأخرج مسلم برقم (٢٢٥٢) عن أبي سعيد وحده قصة المرأة القصيرة فقط.

جسيمتين» أي: تلك المرأة القصيرة لما وضعت رجلين من خشب وعملت هذه الأمور خرجت بين امرأتين طويلتين أو جسيمتين «فبعثوا إنساناً يتبعهن» يتبع هؤلاء النساء الثلاثة «فعرف الطويلتين ولم يعرف صاحبة الرجلين من خشب» فلاحظ؛ هذا نوع من الإسراف ونوع من البذخ ونوع من إضاعة المال ونوع من عدم القناعة بما كتب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لها.

ومن صفات الزوجة الصالحة:

عدم كفران المنعمين، أي: لا تكفر ما يسر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لها من نعمة عن طريق زوجها، وفي الحديث: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^(١).

وفي هذا جاء أحاديث، منها ما رواه البخاري في الأدب المفرد^(٢) من حديث أسماء ابنة يزيد الأنصارية قالت: مرَّ بي النبي -صَلَّى اللهُ

(١) أخرجه أبو داود رحمه الله (كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، ح ٤٨١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) باب التسليم على النساء (ح ١٠٤٨) وصححه الشيخ الألباني -رحمه الله- في السلسلة الصحيحة (ح ٨٢٣).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأنا في جوار أتراب لي فسَلَّم علينا وقال: «إياكنَّ وكفر المنعمين» فقلت: يا رسول الله، وما كفر المنعمين؟ قال: «لعلَّ إحداكنَّ تطول أئمتها» يعني: يتأخر زواجهما «من أبويها ثم يرزقها الله زوجاً ويرزقها منه ولداً فتغضبُ الغضبة؛ فتكفر فتقول: ما رأيت منك خيراً قط».

وجاء في سنن النسائي الكبرى^(١) عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «لا ينظر الله إلى امرأةٍ لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه».

كذلك من صفاتها: احترام الزوج، ومعرفة قدره وحقه، وجاء في هذا أحاديث، منها: ما رواه الطبراني في المعجم الكبير^(٢) عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «لا أمر أحدًا أن يسجد لأحدٍ، ولو أمرتُ أحدًا أن يسجد لأحدٍ

(١) كتاب عشرة النساء، باب شكر المرأة لزوجها، ح ٩٠٨٦، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة (ح ٢٨٩).

(٢) الجزء (١١)، ص ٣٥٦، ط: حمدي عبد المجيد، ح ١٢٠٠٣، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة (ح ٣٤٩٠).

لأمرتُ المرأة أن تسجدَ لزوجها».

وجاء في المعجم الكبير للطبراني^(١) عن زيد بن أرقم أن معاذًا قال: يا رسول الله، أرأيت أهل الكتاب يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم أفلا نسجد لك؟ قال: «لو كنت أمرًا أحدًا أن يسجد لأحدٍ لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها، ولا تؤدي المرأة حق زوجها حتى لو سألها نفسها على قتبٍ لأطاعته».

ويتضاعف حقُّ الزوج إن كان رجلاً من أهل الصَّلاح والتَّقوى والديانة والمحافظة على عبادة الله والرَّعاية لطاعته؛ ففي سنن الترمذي وابن ماجه عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لا تؤدي امرأةٌ زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخیل يوشك أن يفارقك إلينا»^(٢)، قال أهل العلم: في الحديث إنذارٌ شديدٌ للنساء

(١) الجزء (٥)، ص ٢٠٨، ح ٥١١٦، و ٥١١٧ (ولفظه: (.. لأعطته) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة (ح ٣٣٦٦)، وكذلك في رواية أحمد (ح ١٩٤٠٣) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، وهو في الصحيحة تحت (ح ١٢٠٣).

(٢) أخرجه الترمذي رحمه الله تعالى (كتاب الرضاع، باب ١٩، ح ١١٧٤) وابن ماجه =

المؤذيات لأزواجهن.

أيضاً من صفات الزوجة الصالحة:

إذا منَّ الله - عزَّ وجلَّ - عليها وأكرمها بالأولاد أن تعدل بين الأولاد، كما قال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - : « اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم » والحديث في سنن أبي داود ^(١)، وقد جاء في هذا المعنى أحاديث عديدة.

من صفات المرأة الصالحة:

القرار في البيوت، وألا تكون خراجة ولأجة، وإذا خرجت لا تكون متبرجة سافرة، وأيضاً تكون غاضة لبصرها، حافظة لفرجها، وقد مر معنا في هذا بعض النصوص، ومما ورد في هذا: ما رواه

رحمه الله (كتاب النكاح، باب في المرأة تُؤذي زوجها، ح ٢٠١٤) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة (ح ١٧٣).

(١) كتاب الإجارة، باب في الرجل يُفْضَلُ بَعْضُ ولده في النحل (ح ٣٥٤٤) من حديث الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة (ح ١٢٤٠).

الطبراني في الأوسط ^(١) عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «المرأة عورة، وإنها إذا خرجت استشرفها الشيطان» أي: جعلها غرضاً له «وإنها لا تكون أقرب إلى الله منها في قعر بيتها».

ثم من صفات الزوجة الصالحة:

عدم إفشاء سرِّ الزوج والأمور الخاصة بين الزوجين حتى لو وقع بينهما فُرقة ولم يتحقق وئام، فكل منهما عليه أن يتقي الله - جلَّ وعلا - في هذا الأمر.

وفي هذا ما رواه الإمام أحمد في مسنده ^(٢) عن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والرجال والنساء قعود عنده فقال الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «لعلَّ رجلاً يقول ما يفعل بأهله، ولعلَّ امرأة تُخبر بما فعلت مع زوجها، فأرم

(١) برقم (٢٨٩٠ و ٨٠٩٦)، وصحَّحه الألباني رحمه الله في الصحيحة (ح ٢٦٨٨)،

وأخرج الترمذي رحمه الله (كتاب الرضاع، باب ١٨، ح ١١٧٣) القطعة الأولى منه.

(٢) برقم (٢٧٥٨٣) وصحَّحه لغيره الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب

والترهيب (ح ٢٠٢٢)، وانظر الإرواء (ح ٢٠١١).

القوم» - أي سكت القوم - فقلت - القائلة أسماء بنت يزيد -: إي والله يا رسول الله، إنهن ليقلن وإنهم ليفعلون، بدأت بالنساء في ذكر هذا الأمر؛ لأن هذا يكثر في النساء مع رفيقاتها، وزميلاتها، وصاحباتها، بعضهن لا تبالي ولا تهتم، كل واحدة تحدث الأخرى ولا تبالي، وتذكر أمورًا من الخواص والأسرار ولا تبالي.

ولهذا بدأت - لأن هذا يكثر في النساء ويقل جدًا في الرجال - قالت: إنهن ليقلن وإنهم ليفعلون، فقال الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «لا تفعلوا» ثم ضرب مثلاً لذلك قال: «فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانه في طريق فغشيها والناس ينظرون» يعني: المرأة التي بهذه الصفة والرجل الذي بهذه الصفة يفشي الأسرار الزوجية مثله مثل شيطان لقي شيطانه في الطريق وغشيها والناس ينظرون، هذا مثل لمن كان كذلك ولمن كانت كذلك.

هذه بعض الصفات جمعتها من سنة النبي الكريم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، جميع الأحاديث المتقدمة ثابتة عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وجلها في السلسلة الصحيحة للألباني - رحمه الله وغفر له -، وهي أحاديث نافعة وعظيمة ومهمّة.

ولعل مهمّتي مع الإخوة ومع من يسمع من الأخوات هو

الدلالة إلى هذه الأحاديث والإرشاد إلى هذه النصوص.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنِيَّ وَصِفَاتِهِ الْعُلَى أَنْ يَهْدِينَا جَمِيعًا سِوَاءَ السَّبِيلِ، وَأَنْ يَجْعَلَ مَا نَتَعَلَّمُهُ حِجَّةً لَنَا لَا عَلَيْنَا، وَأَنْ يَبَارِكَ لَنَا فِي أَقْوَالِنَا وَأَعْمَالِنَا وَأَوْقَاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَأَنْ يَبَارِكَ لَنَا فِي حَيَاتِنَا كُلِّهَا، وَأَنْ يَصْلِحَ لَنَا دِينُنَا الَّذِي هُوَ عَصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَنْ يَصْلِحَ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَنْ يَصْلِحَ لَنَا آخِرَتُنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَأَنْ يَجْعَلَ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ، وَأَنْ يُصْلِحَ نِسَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَبَنَاتِهِمْ، وَأَنْ يَهْدِيَهُنَّ سِوَاءَ السَّبِيلِ، وَأَنْ يَرُدُّهُنَّ إِلَيْهِ رَدًّا جَمِيلًا، وَأَنْ يَعِيزَهُنَّ مِنَ الْفِتَنِ كُلِّهَا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا جَمِيعًا لِكُلِّ خَيْرٍ يَحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، إِنَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - سَمِيعُ الدُّعَاءِ، وَهُوَ أَهْلُ الرِّجَاءِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ.

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ وَأَنْعَمَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ وَمُصْطَفَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الفهرس

المقدمة	٣
الأصناف الذين توجه لهم هذه الرسالة	٣
الصلاح ينال بأمرين	٦
قاعدة لا بد من التنبيه عليها	٨
صفات الزوجة الصالحة	٩
ما جاء في سورة النساء من الصفات (قانتات حافظات للغيب)	٩
من الصفات: الحذر من الشيطان الرجيم	١٦
تدخل السرور إلى زوجها إذا نظر إليها	١٩
من الصفات أنها ولود ودود موأية موأسية	٢٢
بعض الصفات الذميمة التي يجب أن لا تكون في المرأة	٢٦
من الصفات الحميدة بذل الوسع في خدمة الزوج	٣٠
عدم إرهاق الزوج بالنفقة	٣١
عدم كفران المنعمين	٣٣
احترام الزوج ومعرفة قدره وحقه	٣٤
العدل بين أولادها	٣٦

٣٦	القرار في البيوت
٣٧	عدم إفشاء السر
٣٩	الخاتمة

